الاستشراق والتلقي العربي

د. محمد نور الدين جباب

أستاذ محاضر قسم الفلسفة - جامعة الجزائر 2-

ينصرف عدد كبير من الباحثين والمفكرين العرب بدوافع مختلفة ومتعارضة وبدرجات متفاوتة من التجرد و الحياد والموضوعية والعمق إلى تحليل بنية الفكر الاستشراقي والكشف عن بواعثه وأبعاده وجوانبه الإيجابية والسلبية. وفي خضم هذا الاهتمام تشن حملات على الاستشراق والمستشرقين، بخاصة بعد موجة الإحياء الإسلامي التي تتهم الاستشراق والمستشرقين أنهم أساؤا عامدين إلى حقيقة الإسلام.

إن هدف هذا البحث هو الوقوف عند تلك الأراء والسجالات الفكرية بحياد وموضوعية وبعيدا عن روح الإدانة أو التمجيد من أجل خلق حوار جدي وخصب حول قضايا تهم مستقبل أمتنا.

ما هو الاستشراق:

يميل معظم الباحثين إلى تعريف الاستشراق بأنه دراسة كل شيء عن الشرق لغاته القديمة لهجاته وتاريخه وأساطيره وطباعه وعاداته وأديانه أما المستشرق فهو العالم المتطلع من معرفة الشرق ولغات هو آدابه[1].

إن هذا التعريف الحيادي للاستشراق لا يلقى تقبلا عند الكثير من الباحثين وتقابله تعريفات تفصح عن إدانة تعكس موقفا إيديولوجيا مثل التعريف التالي: الاستشراق هو تخصص الغربي الصليبي في دراسة الشرق شموليا لإضعاف نقاط قوته وتشويه الإسلام لدي الغربي وهو رافد آخر.من الفكر الدخيل في حاضر مجتمعاتنا الإسلامية[2].

إن هذا التعريف ليس مجرد هجوم على الاستشراق فحسب، وإنما هو موقف ورؤية شاملة لعدة مسائل تعد الغرب استعمارا، والاستشراق أيديولوجيته التي يعبر من خلالها عن عدائه للإسلام والمسلمين، وفي مقابل موقف كهذا من الاستشراق نجد باحثا آخر

وهو نجيب العقيقي يفصح عن موقف آخر قائلا :و ظهر على طرفي النهضتين المستشرقون، فتناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة،و لم يقفوا عندها فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، وإنما عمدوا إلى درسه وتحقيقه وترجمته والتصنيف فيه، واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه منذ مئات السنين وفي شتى البلدان وبسائر اللغات مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرافة، وأصبح جزءا لا ينفصل عن تراثنا ولا نؤرخ الحضارة الإنسانية إلا به وقد عرف الغرب منه أصالتنا فيه كما لا تصلنا بالعصر الحديث علوما وآدابا صلة أشد من لغات الغرب[3].

وبعد ذلك يشرح موقفه من بعض المطاعن في الاستشراق والمستشرقين فيقول عن تهمة ارتباطهم بالاستعمار أن من يراجع تراجم هؤلاء يجدهم أقلية، وهي، وإن لم تندثر حتى اليوم فإنها لا تسلك في عداد غالبية المستشرقين التي اتخذت الاستشراق علما وهوى. ويذكر أسماء عديدين تعرضوا للإيذاء في دولهم بسبب مواقفهم، بدلا من مجازاتهم وتقريبهم ثم يرد على ارتباطهم بالتبشير فيقول:وبالرجوع إلى المترجمين ومكاتب الترجمة في طليطلة وبلنسية وصقلية والمؤلفين فيها نجد أن الاستشراق لم يستهدف في نشأته خدمة الكنيسة، فرجال الدين اتباع الفاتيكان هم الذين نظروا إلى الحضارة الإسلامية نظرة إكبار وتهافتوا على إرساء النهضة الأوروبية على أساس التراث الإنساني التي تمثله الثقافة العربية، وتعاونوا مع المسلمين واليهود على نقل أمهات الكتب. ..،.. فالنظر إلى الرهبان من زاوية واحدة قضية تبعدنا عن الصواب، وتبيّن أن بعضهم سجن بسبب هذه الدراسات. ..و لو استهدف الرهبان الجدل والتبشير فحسب لاكتفوا بتعليم العربية وأهملوا ما عداها من اللغات التي قل أو انقرض المتكلمون بها، وما كلفوا أنفسهم إنشاء بواكير مكاتب الترجمة والمعاهد والمكتبات والمطابع والمجلات لحف تراثها ونشر ذخائره[4].

أما إدوارد سعيد في كتابه الهام "الاستشراق " فيبدأ تعريف ظاهرة الاستشراق الغربي بمعناها الواسع، أي اهتمام أوروبا بالشرق بوضعها في سياق تاريخي معين، هو حركة توسع أوروبا البرجوازية الحديثة خارج نطاق حدودها التقليدية توسعا متسارعا منتظما شموليا على حساب بقية أجزاء العالم،وبواسطة إخضاعها ونهبها واستغلالها. بهذا المعنى العريض يشكل الاستشراق ظاهرة معقدة ونامية ومتفرعة عن صيرورة

تاريخية أكثر شمولا كان من أهم تجلياتها حركة التوسع الأوروبي وبحكم الوظيفة التي نشأ من أجلها تحول إلى مؤسسة نامية بسرعة لها ارتباطها الحميم بمصالح اقتصادية وتجارية واستراتيجية حيوية يخدمها ويتفاعل معه.كما أنشأت هذه المؤسسة أجهزتها العلمية والتنفيذية والإدارية المطلوبة واكتسبت بنيانا فكريا وأيديولوجيا تراكميا ملائما ينطوي على تشكيلة لا بأس بها من الفرضيات والنظريات والمعتقدات والتصورات والتسويغات التي يتم التعبير عنها من خلال الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي والسياسي الذي تفرزه تلك المؤسسة الاستشراقية. ولهذا فإن الشرق هو اختراع غربي. والشرق ليس لصيقا بأوروبا وحسب، بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا، وأغناها أقدمها ومصدر حضارتها ولغاتها، و منافسها، وأحد صورها الأكثر عمقا وتكرارا حدوث الأخر.

وإضافة فقد ساعد الشرق على تحديد أوروبا بوصفه صورتها وفكرتها وشخصيتها وتجربتها المقابلة. بين أنه لا شيء من هذا الشرق تخيّليّ صرف فالشرق جزء تكاملي من حضارة أوروبا وثقافتها الماديتين. بل لقد عوين الشرق كما لو كان مؤطرا بقاعة تدريس، و بالمحكمة الجنائية والسجن فالاستشراق إذن هو معرفة بالشرق تضع الشرقي في قاعة التدريس لأغراض التحليل المدقق والدراسة والمحاكمة والتأديب أو الحكم. [5] فالاستشراق نشأ منذ البداية وبخاصة في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع عشر بوصفه مجموعة من الضوابط والتوجيهات على الشرق وهذا نابع كما يرى إدوارد سعيد من جوهر الاستشراق القائم على التمييز بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية، وهو يعمل على تعميق هذا التمييز ومنحه صلابة والثبات وهذا يعود إلى الرؤية السياسية التي كونها الاستشراق للواقع روّجت بنيتها للفرق بين المألوف (أوروبا، الغرب، نحن) وبين الغريب (الشرق، المشرق، هم) ولقد أصبحت كل من الرؤية والواقع المادي سندا للآخر، ومنح أحدهما الآخر القدرة على الاستمرار، والاستشراق يعبر عن قوة الغرب لأن ثقافته كانت الأقوى وكان يستطيع أن يخترق ويضفي شكلا ومعنى على المبهم[6] .

في هذا السياق يصبح واردا أن نؤكد مع المفكر أنور عبد الملك أن هناك أساسا كبيرا للقول أن النزعة المسيطرة في الاستشراق هي النزعة العنصرية التي تنظر بازدراء إلى الكثير من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، وإلى ممثلي هذه الحضارة، بل أن الاستشراق يعتبر: الشرق والشرقيين بأنه سلبي لا يساهم في الأمور، ممهور بذاتية

تاريخية وعن كل ذلك معدوم النشاط معدوم الاستقلال معدوم السيادة تجاه نفسه، الشرق أو الشرقي الوحيد، أو الذات الوحيدة التي يمكن التسليم بها في النهاية القصوى هو الكائن المستلب المؤلين بالمعنى الفلسفي أي الذي إذا قيس بالنسبة إلى ذاته كان أمرا آخرا غير هذه الذات إنه الكائن المطروح المقهور والمحدد والمفعول به من قبل الغير.[7]

من مجمل ما سبق يتبين أن إدوارد سعيد وأنور عبد الملك يذهبان إلى اعتبار الخطاب الاستشراقي هو ضرب من الممارسة الفكرية التي اقتضتها حاجة العقل الغربي لأن يشمل بكليته المعطيات الثقافية للآخر وإعادة إنتاجها بما يجعلها ضمن سياقات المركز من أجل تقديم الإثباتات التاريخية بأن تاريخ الحضارة العقلانية هو تاريخ الشعوب الأوربية وبأن ما قدمته الشعوب الأخرى بخاصة العربية الإسلامية لا تدخل مباشرة في الحقل الحضاري الذي يبقى حكرا على صانعي الحضارة الممتازين.

ويذهب أحد الباحثين إلى حد اعتبار الاستشراق جوهرا قائما بذاته هدفه الإفصاح عن التباين بين الشرق والغرب وهو شامل حتى لما هو ليس مكتوبا. فيصبح بهذا المعنى نمط تصور وإدراك وليس ضربا من المعرفة أو المعاينة يخلقه اعتقاد جازم بالتضاد بين الغرب والشرق ويفصح عن التباين بين الشرق والغرب، لا على أساس أنهما مفهومان جغرافيان وحضاريان وسياسيان، بل هما مفهومان خياليان دخلا في صياغة تلك الوحدة الثقافية والتاريخية والسياسية التي سمت نفسها غربا والتي من خلال ما أعطته من مواصفات للشرق.[8]

أما محمد أركون فإنه ينحو منحى آخر فهو يوجه نقدا للجميع، مسلمين ومستشرقين فهو يطالب بزحزحة النقاش من الأرضية الأكاديمية والانفعالية والأيديولوجية وحتى الهلوسية التي كان قد أبقى رازخا فيها حتى الآن، نحو أرضية أخرى جديدة تتمثل بالمقابلة المنهجية بين الخطابات الإسلامية والخطابات الاستشراقية التي لا تعرف كيف تتفاهم ولا تستطيع أن تتواصل بالفكر العلمي الذي تدعي هذه الخطابات المتضاربة التقيد به أو السيطرة عليه.[9]

إن محمد أركون يهدف إلى إقامة مسافة نقدية متساوية بين الخطابات الإسلامية والخطابات الاستشراقية وذلك من أجل موضعة وتحديد الابستمولوجية. وذلك بهدف احتلال موقع ابستمولوجي يختلف عن المواقع. التي ينتمي إليها الخطابان المذكوران.

إن الهدف من هذا الطرح الإبستمولوجي كما يؤكد أركون هو إبعاد خطاب الرفض والكره والأحقاد ومن أجل تحرير النقاش أو الحوار بين الإسلام والغرب من ثقل وضغط التصورات العتيقة التي كانت قد كونت المخيال الجماعي لكلا الطرفين منذ عدة قرون. وللوصول إلى هذه الغاية العلمية يقترح ثلاثة مستويات لقراءة الخطاب الاستشراقي، أو بعبارة أخرى يقترح مستويات ثلاثة لفهم الطرفين معا. وهي كالتالي

1. ما هو دون مستوى المناقشة (= الحوار)وما هو وراءها، أي يتجاوزها
2. الخطابات الإسلامية والخطابات الاستشراقية
3. المواضع أو المواقع الاستراتيجية لتدخل الفكر العلمي.

وهذه الموضوعات الثلاثة الهدف منها، إضافة للمقتضى العلمي، خوض الصراع على جبهتين هما :

أ. الصراع ضد الخطابات الإسلامية التي تدعي البراءة وحسن النية وتدين مجمل إنتاج الاستشراق المتعدد الأبعاد والمتغير والمتنوع

ب. الصراع ضد مواقف عدد كبير من المستشرقين الذين يرفضون الدخول في أية مناقشة ابستمولوجية مع زملائهم الغربيين المشتغلين في الاختصاصات الأخرى أو حتى فيما بينهم، بحجة أن المسلمين الذين ينتقدونهم يمارسون ذلك من موقع المماحكة الجدالية فقط وليس من أجل العلم.

بعد تقديم هذه التبريرات الفكرية التي تعيق المهتم بالاستشراق وجدل الحضارات عموما يقوم بشرح تلك المستويات الثلاثة التي تؤثر سلبا على بلوغ الحقيقة موضحا محدوديتها الفكرية وملابساتها الأيديولوجية.

ما هو دون مستوى المناقشة، يدخل في هذا الإطار كل ما يتعلق بالأشياء الشخصية والنظم والأخلاق الجامعية والظروف المؤقتة، أي كل ما هو عرضي وعابر وخاص بالزمن الراهن والعصبيات الطائفية والقومية التي تؤثر بعمق على كتابات كل مؤلف إضافة إلى عوامل أخرى منهجية وأيديولوجية تؤثر سلبا على بلوغ مطلب الحقيقة. [10]

وإذا طبقنا هذا المعايير على الباحثين المسلمين فهم إذ ينتقدون المستشرقين لا يأخذون بعين الاعتبار أنهم ينتمون هم أيضا إلى نفس منهجية العلم الغربي وروحه الذي هو نابع أساسا من قيم الحضارة التي ترى في نفسها الوحيدة الجديرة بأن تسيطر على العالم: أي الحضارة الرأسمالية.

أن معظم أولئك الكتاب يتموضعون معرفيا في منطقة ما دون مستوى الحوار لأن كتاباتهم متأثرة بمناخ النضال ضد الاستعمار وضد الهيمنة، أكثر مما هي حريصة على إعادة فحص ودراسة الموضوعات الأكثر عرضة للخلاف والجدل في المجال العربي والإسلامي ودون تقديم أي تنازلات على المستوى القومي أو الديني[11].

يتناول أركون نموذجين لهذا النوع من التفكير وهما عبد الله العروي وإدوارد سعيد. فالأول من خلال كتابه" تاريخ المغرب" الذي يراه خاضعا لموضوعات أيديولوجيا الكفاح التي لم يستطع التخلص منها لأنه كتب بعد تحرير بلدان المغرب العربي من الاستعمار، فجاء يعلن وبشكل صارخ اختلافه مع الأدبيات الاستعمارية.ونفس الشيء ينطبق على إدوارد سعيد الذي كان بإمكانه اختصار الطريق، بدل انتهاج الطريق الصعب لنقد الاستشراق، لقد كان من الأفضل له لو راح،كما يقول، يحلل بشكل مباشر تأثير الصراع العربي الإسرائيلي على ممارسة وسير الدراسات العربية في الولايات المتحدة بشكل خاص، عندئذ كان يستطيع أي يعطي شيئا مفيدا ومهما وضروريا[12].

أما الجهة الاستشراقية فهناك عدة عوامل تبقي الفعالية العلمية تحت مستوى هدفها المعلن في المرحلة الاستعمارية كانت المستعمرات القديمة والروح التبشيرية للمسيحية قد وجهت أعمال المستشرقين. أما بعد حصول الاستقلال فإن الحنين إلى الفرص التاريخية الضائعة والرغبة في لعب دور جديد ضمن المرحلة الجديدة لعبت دورا في توجيه الاستشراق نحو الأيديولوجيا. ويقدم محمد أركون نماذج من المسلمين والمستشرقين الذين يغلب على بحوثهم الطابع الأيديولوجي الذي يحرم الطرفين معا إلى التوصل إلى الحقيقة المنشودة في البحث العلمي.

بعد هذا النقد يقترح أركون ما يسميه :المواقع الاستراتيجية لتدخل الفكر العلمي. وهنا ينشأ تساؤل كيف يمكن تحديد هذا الفكر العلمي ؟و بأي شيء يتميز عن ذلك الفكر الذي يحمله المستشرقون ؟ إنه يتمثل في أن نستبدل المبادرات الفوضوية المبعثرة والعابرة والمعزولة والتكرارية وغير الدقيقة وذات الأغراض والنوايا غير العلمية التي تتكاثر في كل مكان تحت ضغط الأحداث السياسية والاقتصادية الراهنة، أن تستبدل باستراتيجية منسقة،و هذه الاستراتيجية يجدها أركون في البحث النظري المنهجي أي النقد الإبستمولوجي الجذري الذي يتجاوز كل الخصوصيات الثقافية،

والتفكيكي والمترابط والناسف لكل التسريات الأيديولوجية حتى ضمن الخطاب الذي تنتجه الذات. ذلك أن المعرفة هي عبارة عن جهد ديناميكي، وهي مستقلة عن كل غاية مباشرة أو منفعة فورية تكون موضوعة تحت تصرف الجميع. ثم أنها تتغذى بالمقابل بالدلالات والمعاني والتجارب التي ينتجها الفاعلون في المجتمع.[13]

بعض الاستخلاصات

لقد تبين لنا أن المعرفة الاستشراقية هي معرفة ينفرد بها الغرب بأحوال الشرق على جميع الأصعدة ويشمل جميع الحقول المعرفية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية

إن انفراد الغرب بهذه المعرفة لا يعود إلى نوع من الجدل الحضاري، أو التفاعل بين الحضارات، بل يتم دراسة الشرق بوصفه موضوعا للغرب يسعى بكل ما أوتي من مناهج المعرفة الغربية للإحاطة بهذا الشرق. بينما تبدو علاقتنا، أي الذات العربية الإسلامية، علاقة تأثر بهذا الغرب من خلال تياراته الفكرية والمنهجية التي أصبحت أداة تحليل لفهم واقعنا إن المعرفة الاستشراقية ذاتها تحولت لدى الكثير من الباحثين العرب إلى منهجية بحث نجد امتداد المعرفة الاستشراقية في زوايا رؤيتهم للتاريخ العربي والفلسفة العربية والأدب العربي.

إن هذه الرؤية الفكرية أصبحت من أهم المواضيع الخلافية بين المفكرين العرب، ويبني الكثير منهم نظرته إلى الغرب على أساسها، سلبا أو إيجابا وهذا يعود في تقديرنا، إلى مسألة على غاية من الأهمية، وهي أن الكثير من الباحثين ينطلقون من المستشرقين أنفسهم ومن مواقفهم مع إرجاع عدم موضوعية ما يطلقون من أحكام إلى ميول ونزعات استعمارية مما جعلهم يدافعون عن شيء مخالف للحقيقة، إن هذا السجال تزداد أهميته القصوى في هذه المرحلة، نتيجة حدة الصراع بين الشرق والغرب، بخاصة نحن نعيش التهديدات الغربية للعالم الإسلامي، مما يعمق إحساسا أن هذا الوضع يعكس نظرة استشراقية، وبعبارة أخرى إننا أمام معرفة غربية عن الآخر، مما يجب أن نتساءل كيف تبدو صورتنا في مرآة الآخر، وهنا الغرب. إذا كانت تعكس فعلا تلك الصورة حقيقتنا أم أنهم يروننا في مرآة مقعرة، الأمر الذي يعني بشكل آخر، أن علاقتنا بالغرب حتى هذه اللحظة هي، إما علاقة الرافض، أم المستسلم له، أو هي علاقة المتلقي فقط، رغم بعض المحاولات التي طرحها الفكر

العربي في السنوات الأخيرة جاعلا المعرفة الاستشراقية بوصفها موضوعا للمعرفة وجاعلا من الفكر النقدي أداة نقد لهذا الخطاب.

إن النظرة الموضوعية تتطلب من الباحثين العرب التمييز بين الغرب كحضارة وثقافة والغرب بوصفه هيمنة.أي الفصل بين الإيديولوجيا والعلم. وهذا التمييز يساعدنا على فهم أرقى لعلاقتنا بهذا الغرب، وبالتالي يحدد لنا أشكال خصوصيتنا الحضارية.

و لما كان الاستشراق هو معرفة، فمهما كانت طبيعة هذه المعرفة حول الشرق، فإن موقفنا يجب أن يكون موقفا من هذه المعرفة وليس موقفا من الغرب المنتج لهذه المعرفة، مما يتطلب من الباحث أن يتحرر من المعرفة المسبقة عن الغرب وبالتالي عندما نريد أن نتحرر من النظرة الاستشراقية علينا امتلاك أدوات معرفية لفهم الخطاب الاستشراقي ومعرفة المناهج المستعملة والمطبقة المختلفة، تحصننا من متاهات الأيديولوجيا.

إن خطاب الاستشراق في صيغته النهائية هو تحليل صورة الآخر، الإسلام والعرب وسائر الشعوب الأخرى غير الأوروبية، بعبارة أخرى هو رؤية كونها الغرب لنفسه عن الآخر. إذا استعرنا أدوات إدوارد سعيد المعرفية فإن الاستشراق خطاب أو إنشاء لكنه خطاب لا يعكس حقائق أو نتائج، بل يصور تمثلات أو ألوانا من التمثيل حيث تتحقق القوة والمؤسسة والمصلحة، إنه خلق جديد للآخر أو إعادة إنتاج له على صعيد التصور والتمثيل مما يجعل من الاستشراق موضوع معرفة بينما موضوعه الذي هو الشرق موضوع واقع لا تربطه به صلة تطابق انعكاس. بل يذهب المفكر إدوارد سعيد إلى أبعد من ذلك حين يؤكد أن بنية الاستشراق ليست سوى بنية من الأكاذيب أو الأساطير التي ستذهب أدراج الرياح إذا ما انقشعت الحقيقة المتعلقة بها(14).

سواء صح هذا الرأي أو لم يصح، فإن الضرورة العلمية تفرض علينا أن نتناول الاستشراق من رؤية أخرى تكون أكثر حيادية وهي الرؤية الابستمولوجية، فهناك فرق بين التأريخ للاستشراق ومراحله المختلفة وبين إبراز إشكاليته ومنهجه في معالجة المسائل المتعلقة بحضارة وثقافة الآخر، والعمل أيضا على اكتشاف قدرته على الحياد، التحرر من التمركز على الذات في تناوله للآخر المختلف، والتحرر أيضا من منظومة القيم التي تؤطر منظوره الحضاري. لأننا نعتقد أن كل معرفة تتناول المجتمع الإنساني، خلافا لتلك التي تتناول العالم الطبيعي، هي معرفة تاريخية لذا فهي تقوم على الأحكام والتفسير. ومعنى ذلك أن الحقائق تستمد أهميتها مما يسبغه التفسير

عليها، والتفسير يعتمد بشكل كبير على الذات الدارسة وعلى ما تسعى إلى تحقيقه هذه الذات. وهذه الأخيرة تستند إلى منظومة قيم محددة تمارس تأثير على الباحث فتوجه تعامله مع الموضوع الذي يدرسه وتوجه تفكيره واختياره للمفاهيم والفرضيات والوقائع.

إذا أخذنا بهذه النظرية فإن الاستشراق تنسحب عليه هذه الملاحظة فهو يعكس رؤية الأنا أي الشرق من خلال الآخر الغرب، وهذا الأخير محملا بأيديولوجية مناهج البحث العلمي، أو المذاهب السياسية التي كانت سائدة منذ القرن التاسع عشر، من وضعية ووتاريخية وعنصرية وقومية. لقد غلبت عليه مناهج تعبر عن بنية الوعي الأوربي التي تكونت عبر حضارته الحديثة ومناهجها المختلفة، لقد نتج عن هذا التفوق العلمي نظرة استعلائية لثقافة وحضارة الآخر مما أدى بالاستشراق والمستشرقين إلى الوقوع في التحيز المقصود إلى درجة سوء النية[15].

في هذا السياق تنشأ جملة من التساؤلات، هل توجد آليات هيمنة داخل الاستشراق تختفي فيه وتتوارى في خطابه؟هل خطاب الاستشراق هو معرفة من نوع آخر تختلف عن المعرفة التاريخية الحقة؟ هل هو إلغاء للآخر وتمركز على الذات لا سبيل إلى نقض الاستشراق إلا بتفكيكها. لكن هذا المطلب العلمي لا يجوز أن يقودنا إلى الوقوع في استشراق معكوس مثل اعتبار الذات العربية جوهرا قائما بذاته وتكريس الخصوصية والتقوقع داخلها، بل يكون عبر نقد علمي موضوعي متحرر من الأحكام العامة المسبقة.

إننا مطالبون في هذه اللحظة التاريخية ليس العداء، إنما إعادة ترتيب العلاقة مع الغرب المتقدم ذلك يتطلب منا إعادة تصويب وعينا التاريخي ووضع معايير جدية للعقل العربي بمقتضاها نعيد صياغة الكثير من المفاهيم وترتيب الأولويات حتى نتمكن من استيعاب آليات العصر والدخول في جدل حضاري خصب بيننا وبين الأخر المتقدم من أجل تحقيق المصالح وليس تسجيل المواقف.

ذلك يتطلب التميز بدقة بين الغرب الاستعماري والغرب الحضاري فهو ليس واحدا متجانسا فهناك الغرب المعرفي والتنويري والإنساني كما يوجد الغرب الأيديولوجي والاستعماري.

وبقدر ما نواجه ونتصدى لوجهه البشع بنفس القدر نبني الجسور المتينة والقوية والصادقة مع وجهه الحضاري المستنير.

الهوامش:

[1] أنوار عبد الملك الاستشراق في أزمة مجلة الفكر العربي معهد الإنماء العربي العدد 31 مارس 1983 ص 70

[2] محمد صادق عبد اللطيف: الاستشراق الواقع والاتجاهات والمواجهة الاتخاذ العام للأدباء والكتاب العرب عمان ط 1 1993 ص 230.

[3] نجيب العقيقي المستشرقون جزء1 القاهرة دار المعارف1964 ص7 –8

[4] نجيب العقيقي المستشرقون مصدر سابق ص1150

[5] إدوارد سعيد الاستشراق ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية ط 2 1984 بيروت لبنان ص71

[6] إدوارد سعيد الاستشراق مصدر سابق ص74

[7] أنور عبد الملك الاستشراق ت أزرقة مصدر سابق ص 73.

[8] عزيزة العظمة: إفصاح الاستشراق المستقبل العربي العدد 32 1981 ص 43.

[9] محمد أركون تاريخية الفكر العربي الإسلامي مركز الإنماء العربي بيروت لبنان ط1 1986 ص245

[10] محمد أركون تاريخية االفكر العربي الإسلامي مصدر سابق ص247

[11] محمد أركون تاريخية الفكر العربي الإسلامي مصدر سابق ص248

[12] محمد أركون نفس المصدر ص248

[13] محمد أركون تاريخية الفكر العربي الإسلامي مصدر سابق ص 262

[14] إدوارد سعيد: الاستشراق ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية ط 1 بيروت 1984 ص 41.

[15] حسن حنفي علم الاستغراب المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط 1. 1992 بيروت ص 25.